مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الثاني
(8 رجب 1447هـ/ 28 ديسمبر 2025م)، ص 383– 400

التنظيم الاجتماعي عبر المؤسسات التقليدية في منطقة القبائل

" مقاربة سوسيولوجية لمنطقة تيزي راشد التابعة لولاية تيزي وزو"

Social Organization through Traditional Institutions in the Kabyle Region: A Sociological Approach to the Tizi Rached Area, Tizi Ouzou Province.

LALLOUCHE Nassima ط.د/ لالوش نسيمة [1]

[1] جامعة الجزائر2(أبو القسم سعد الله)

Professeur : **BOUMAKHLOUF Mohamed** أ.د/ بومخلوف محمد [2]

[2] جامعة الجزائر2(أبو القسم سعد الله) **mohamed.boumakhlouf@univ-alger2.dz**

المؤلف المرسل: لالوش نسيمة LALLOUCHE Nassima البريد الالكتروني: **nlallouche@yahoo.fr**

تاريخ الاستلام: **08 /2025/10** تاريخ القبول: **25 /2025/10** تاريخ النشر: **28/12/ 2025**

الملخص: اعتمد المجتمع القبائلي تاريخيا على مؤسسات تقليدية عملت على تنظيم الأدوار والمسؤوليات المختلفة، التي أسهمت في استقراره واستمراريته. ويهدف هذا المقال إلى تقديم تحليل سوسيولوجي لهذه المؤسسات من خلال إبراز وظائفها التقليدية والرمزية في تنظيم العلاقات، وتعزيز التماسك، وصون الذاكرة الجمعية.

وقد أظهرت النتائج أن هذه المؤسسات، رغم الضغوط الناتجة عن التغيرات الاجتماعية والثقافية الحديثة،لم تنقرض ولم تفقد حضورها، بل أبانت عن قدرة ملحوظة على إعادة تشكيل وظائفها وأدوارها بما يتناسب مع السياقات الجديدة.كما تبين استمرار بعض أشكال التضامن التقليدي مثل التويزة، وثمشراط التي ما تزال تمارس كآليات فعالة للتكافل والتعاون بين الأفراد، وهو ما يعكس مرونتها البنيوية وقدرتها على التكيف. ومن ثم يمكن القول أنه رغم تراجع بعض وظائفها المباشرة أمام مؤسسات الدولة، فقد تمكنت هذه المؤسسات من التوفيق بين الاستمرارية والتكيف مع متطلبات التحديث.

الكلمات المفتاحية: المؤسسات الاجتماعية التقليدية، التنظيم الاجتماعي، التضامن، المجتمع القبائلي

Abstract:

Historically, Kabyle society has relied on traditional institutions that organized social roles and responsibilities, contributing to its stability and continuity. This article aims to provide a sociological analysis of these institutions by highlighting their traditional and symbolic functions in regulating social relations,strengthening cohesion, and preserving collective memory.
The results show that despite the pressures resulting from modern social and cultural transformations, these institutions have neither disappeared nor lost their significance. On the contrary, they have demonstrated a remarkable ability to reshape their functions and roles in accordance with new contexts. Furthermore, traditional forms of solidarity such as *touiza* and *thimchrat* continue to bepracticed as effective mechanisms of mutual aid and cooperation, reflecting their structural flexibility and adaptive capacity. .
Thus, although some of their direct organizational roles have declined in favor of state institutions, these traditional structures have succeeded in reconcilingcontinuitywith adaptationto the requirementsof modernization.

Keywords: Traditional socialinstitutions, social organization, solidarity, Kabyle society.

1. مقدمة:

عُرف المجتمع القبائلي منذ القديم بنموذج مميز في مجال التنظيم الاجتماعي بفضل مؤسساته الاجتماعية التقليدية، حيث ارتكز على منظومة متكاملة تضم العائلة، القرية، العرش، القبيلة، الزاوية وتجماعث، التي تعتبر هياكل اجتماعية تنظيمية تقليدية مستقلة عن الهياكل الرسمية للدولة، أدت وظائف محورية في تحقيق العدالة الاجتماعية والحفاظ على الاستقرار الاجتماعي، وقد برزت "تجماعث" على وجه الخصوص كإحدى أهم هذه المؤسسات نظرا لدورها الهام في إدارة المجتمع المحلي، حيث تمارس وظائف قضائية واجتماعية وتنظيمية، مما جعلها أداة فعالة في الحفاظ على التوازن في المجتمع.

في سياق التحولات البنيوية المرتبطة بالعولمة والتطور التكنولوجي، تواجه هذه المؤسسات تحديات جديدة خصوصا ما يتعلق بقدرتها على الحفاظ على أدوارها التقليدية واستعادة شرعيتها الرمزية في ظل التحولات الثقافية والاجتماعية الراهنة.

وهنا تبرز الإشكالية البحثية المتمثلة في ذلك التوتر القائم بين الاستمرارية في التمسك بالتراث التقليدي أو التكيف مع متطلبات الحداثة، حيث تواجه المؤسسات التقليدية في منطقة تيزي راشد (ولاية تيزي وزو) تحديا، يتمثل في قدرتها على إعادة إنتاج أدوارها ووظائفها في سياق التحديث. فعلى الرغم من تراجع الدور التنظيمي لمؤسسة تجماعث، إلا أن أشكال الممارسات التضامنية مثل التويزة، ثمشراط، لَعشُور... وغيرها، ما تزال تشكل مثالا حيًا عن الهوية الثقافية المحلية، و يمكن فهم هذه الدينامكية في ضوء أطروحات بيير بورديو، حول أشكال الرأسمال المتعددة، بحيث يرى أن الرأسمال الثقافي يُكسب داخل العائلة وبواسطة التعليم، ويتجسد الرأسمال الرمزي في الهيبة والمكانة الاجتماعية للفرد، أما الرأسمال الاقتصادي فيتمثل في الثروة والدخل وموارد اقتصادية أخرى، وأن هذه الأشكال من الرأسمال يمكن تبادله[1]. في هذا الإطار تظهر الممارسات التضامنية في المجتمع القبائلي أنها ليست مجرد تقاليد ثقافية بل هي تعبير عن أشكال الرأسمال الاجتماعي القائم على الثقة والتبادل والأعراف، الذي يضمن استمرارية الروابط الاجتماعية. كما أنها تمنح الفاعلين الاجتماعيين رأسمالا رمزيا يعزز مكانتهم داخل الجماعة ويعيد إنتاج شرعية الانتماء الجماعي.

وعليه، لا يمكن النظر إلى المؤسسات الاجتماعية التقليدية ككيانات ثابتة، بل كآليات ديناميكية تُعيد تشكيل نفسها من خلال تفاعلها مع المستجدات. ومن هنا تطرح الدراسة مجموعة من التساؤلات: إلى أي مدى تستطيع هذه المؤسسات التكيّف والتوافق مع التطورات الجديدة والسريعة؟ كيف يمكن لهذه المؤسسات أن تحافظ على شرعيتها الاجتماعية والرمزية؟ وما الدور الذي تلعبه الممارسات التضامنية في تعزيز التماسك الاجتماعي وضمان إعادة إنتاج الرأسمال الاجتماعي والرمزي داخل المجتمع القبائلي؟

انطلاقا من هذه التساؤلات، أنجزنا دراستنا في منطقة تيزي راشد الواقعة في ولاية تيزي وزو، كمجال نموذجي لدراسة تحولات المؤسسات الاجتماعية التقليدية، وأيضا كمجال يمكن تتبع ديناميكيات التفاعل بين الإرث الثقافي التقليدي ومتطلبات الحداثة.

اعتمدنا في هذه البحث على مقاربة تحليلية نظرية، وتم فيها المزج بين منهجين هما: المنهج التاريخي لمتابعة التطور البنيوي للمؤسسات التقليدية، وفهم الآليات التي طورتها من أجل الحفاظ على وظائفها

وأدورها في ظل التغيرات الحديثة، والمنهج الوصفي–التحليلي وذلك لفهم البنية الاجتماعية والأنماط الثقافية للمنطقة.

كما ارتكزت هذه الدراسة أساسا على الأطر النظرية السوسيولوجية باعتبارها أدوات تحليلية تساعد على فهم استراتجيات إعادة الإنتاج الرمزي التي تعتمدها المؤسسات التقليدية، والكشف عن دورها في تعزيز التماسك في منطقة تيزي راشد. وقد تم الاعتماد على مقاربة إميل دوركهايم حول التضامن الاجتماعي، وعلى بيار بورديو حول الرأسمال الرمزي، بإضافة إلى مقاربة ابن خلدون لفحص أثر التغيرات والتحولات الاجتماعية والثقافية على وظائفها وأدوارها، بالإضافة إلى التفاعل القائم بين الثقافات المحلية والأنماط المعولمة.

2. رؤية حول المفاهيم المعتمدة:

1.2. المؤسسة الاجتماعية: تعد المؤسسة الاجتماعية، الجماعة الأصلية التي ينتمي إليها الفرد بشكل تلقائي، مثل العائلة، القبيلة، العرش، وقد عرفها نبيل عبد الهادي بأنها:" مجموعة من الأشخاص يرتبطون بعدة أنساق كالمصلحة العامة أو القرية، وتقوم على تحديد العلاقات الاجتماعية بينهم بهدف تحقيق هدف مشترك"[2]، وتعتبر هذه المؤسسات ركائز أساسية في بناء المجتمع لما لها من دور في الضبط الاجتماعي وتوزيع الأدوار.

2.2. التنظيم الاجتماعي: يقصد بالتنظيم الاجتماعي عملية تنسيق العلاقات بين الأفراد والجماعات، وهو ما يظهر في التنظيمات التقليدية الموجودة في القرى والأرياف، وقد نشأت بصورة عفوية نتيجة لتفاعلات الاجتماعية.

وفي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، فقد عرفأحمد زكي بدوي التنظيم الاجتماعي **بأنه**:"نمط مستقر نسبيا من العلاقات الاجتماعية والأنشطة المختلفة داخل مجتمع أو جماعة ويقوم على أنساق من الأدوار الاجتماعية والمعايير والمفاهيم المشتركة التي تستهدف تنظيم الحياة الاجتماعية وتحقيق الأغراض والغايات التي ينشدها المجتمع".[3]

3.2. التضامن الاجتماعي: يعرّف أحمد زكي بدوي التضامن بأنه"عملية التآزر أو الاعتماد المتبادل كما تظهر في الحياة الاجتماعية"[4]، وقدم ساهم عدد من علماء الاجتماع أمثال دوركايم، هربرت سبنسر وابن

خلدون وغيرهم في تطوير مفهوم التضامن الاجتماعي، ويعتبر "إميل دوركهايم" من أبرز من تناول هذا المفهوم، حيث ميز في كتابه "في تقسيم العمل الاجتماعي" بين شكلين من التضامن وهما:

1.3.2. التضامن الميكانيكي (الآلي): يعتمد التضامن الميكانيكي على التماثل والتشابه بين أعضاء المجتمعات البدائية والبسيطة الخالية من التجزئة الداخلية والعلاقات الاجتماعية، وتقوم الحياة الاجتماعية فيها على روابط القرابة والدم، وأعضاؤها متجانسون ولهم نفس المشاعر والأحاسيس،[5] وتكون شخصية الفرد مذابة في شخصية المجتمع بسبب اعتماده على الضمير الجمعي في حركاته وتصرفاته الفردية، كما يسود في هذه المجتمعات، "القانون القمعي(الانتقامي) حيث توقع الجزاءات الشديدة على الشخص المخالف للأخلاقيات السائدة أي مخالفة للضمير الجمعي ".[6]

2.3.2. التضامن العضوي: يتجلى هذا النوع من التضامن في المجتمعات الصناعية والمجتمعات الحديثة حيث يسود التخصص والتباين، ويكون الضمير الجمعي في هذه المجتمعات أقل شدة مقارنة بالمجتمعات الأولية، وتستند القوانين إلى الطابع الإصلاحي وليس الردعي. "أما في المجتمع الذي يسوده التضامن العضوي فان مؤشرات التماسك تتمثل في القانون الإصلاحي التعويضي، إذ تهدف الجزاءات القانونية إلى إعادة الحال إلى ما كان عليه الفرد قبل ارتكابه السلوك المخالف".[7]

وعليه، فالتضامن يعتبر شكلا من أشكال التفاعل الاجتماعي المتبادل بين الأفراد، حيث يعكس التأثير المتبادل أثناء القيام بعمل ما، هدفه تحقيق المصلحة للجميع، والذي لا يمكن تحقيق التماسك الاجتماعي بدونه.[8]

3. أشكال المؤسسات الاجتماعية التقليدية وآليات التنظيم الاجتماعي في المجتمع القبائلي:

تتميز المؤسسات الاجتماعية التقليدية في المجتمع القبائلي بتنوع أشكالها وتعدد أدوارها الاجتماعية، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

1.3 . العائلة النواة الأساسية للتنظيم: تعتبرُ العائلة النموذج الأولي التي تبنى عليه سائر البُنى الاجتماعية فهي لا تقتصر فقط على الزوجين، بل أيضا تشمل مجموع القرابة، فمحمد عاطف غيث، عرفها بأنها:" الجماعة التي تُقيم في مسكن واحد، وتتكون من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين،

والأولاد المتزوجين، وأبنائهم، وغيرهم من الأقارب،كالعم والعمة،والابنة والأرملة، الذين يقيمون في نفس المسكن، ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة،تحت إشراف رئيس العائلة".[9]

بينما يرى إحسان مُحَّد الحسن أنها: "عبارة عن منظمة اجتماعية تتكون من أفراد يرتبطون بروابط اجتماعية وأخلاقية ودموية وروحية، وهذه الروابط هي التي جعلت العائلة البشرية تتميز عن العائلة الحيوانية".[10]

أما في المجتمع القبائلي، فقد تميزت العائلة بكونها عائلة ممتدة، تجمع أجيالاً مختلفة في مسكن واحد، ويمارس الأب سلطة شاملة تجمع بين وظائف القاضي والرئيس داخل البيت، فيتحكم في ميزانية العائلة وممتلكاتها، وحسب ما حللهبيار بورديو ضمن مفهوم إعادة الإنتاج الرمزي،فانه يستمد سلطته المطلقة من امتلاكه وسيلتين أساسيتين للعقاب وهما: سلطة الحرمان من الميراث وسلطة اللعنة، والتي تعتبرا أداتان رمزيتان واجتماعيتان بالغة القوة والرهبة".[11]

لقد تشكلت البنية الاجتماعية في المجتمع القبائلي من ثلاث طبقات اجتماعية متمايزة بناءا على أساس النسب العائلي والانتماء العرقي والهيبة الاجتماعية، وهي:

3. 1.1. القبائليون (لقْبَايْل):

يطلق عليهم أيضا مصطلح (أَحَري) أي الرجل الحُر، وهم الفئة المهيمنة تقليديا في منطقة تيزي راشد، وتتجلى هذه الهيمنة على المستوى الاقتصادي من خلال التحكم في الأراضي كرمز للانتماء، وقد شهدت هذه الفئة من العائلات حسب الروايات التاريخية إلى نشوب صراعات داخلية حول الشرف وملكية الأرض بلغت أحيانا حدّ العنف، ووُظفت فيها آليات عقابية قاسية ضد المخالفين لقرارات عائلاتهم كالطرد والعزل الاجتماعي.

وعلى المستوى الرمزي، تجلت الهيمنة في إقصاء المرأة من حق الميراث، حيث عمد شيوخ منطقة القبائل إلى سنّ قوانين عرفية ضدها تحت ذريعة الحفاظ على الملكية العقارية للعائلة، وهذا ما يعكس ما سماه بورديو بالعنف الرمزي حيث تعيد إنتاج الاختلافات بين الرجل والمرأة.[12]كما يوضح أيضا لحسين بن شيخ آث مَلُويَا فيكتابه فقال:"...كما هو الحال بالنسبة للمرأة التي لها الحق الانتفاع في معظم القوانين العرفية الأمازيغية وليس الميراث، وهذا ليس تحقيرا للمرأة ولا لكونها من طبقة وضيعة بل أن الهدف من ذلك

هو ضمان عدم خروج الأملاك العقارية في حالة زواجها إلى أسرة أجنبية وهي أسرة الزوج، فالملكية العقارية يجب أن تبقى دائما خاضعة للأسرة...".[13]

2.1.3 المرابطون: لقبت هذه الفئة في منطقة القبائل بامْرَابْضَنْ، وهم كما قال مُحَّد فراد من: "النخبة المثقفة الوافدة من المغرب (الساقية الحمراء، المغرب، الأندلس) يسيّرون مؤسسات الزوايا ويشرفون على ما تقوم به من نشاطات متعددة ويشرفون على افتتاح واختتام جلسات القرية..."[14] فهذه الفئة المشهورة بالشرف والنبل والثقافة، استطاعت الدخول إلى منطقة القبائل، منها منطقة تيزي راشد، وحازت على مكانة اجتماعية مرموقة بفضل رأسمالها الرمزي المتمثل في الثقافة الدينية وحفظ القرآن، مما منحها شرعية إدارة المؤسسات الدينية والتعليمية، وتصبح وسيطا بين الفئات الاجتماعية المختلفة.

تميزت أيضا هذه الفئة بقداسة رمزية تجسدت في مفهوم "البركة"، الذي حول بعض المرابطين إلى أولياء صالحين ذوي أضرحة يقصدها الناس للتبرك، مثل ضريح الشيخ سيدي خليفة في قرية زَرْقَة (بلدية تيزي راشد).

كما يوثق أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي من حيث مستوى العلاقات الاجتماعية فيقول:" أصبحنا لا نكاد نجد مدينة أو قرية بدون العديد من الزوايا والأضرحة والمشاهد، وعند كل بناية أناس يتبركون ويدعون ويزورون ويتقربون، يقيمون الحضرة ويقدمون الهدايا ويذبحون الذبائح، آتين من كل فج، وأصبح المشاهد المحايد لا يعرف وهو أمام ذلك هل يشاهد مآدب أو مآتم، وهل العابدون يعبدون الله أو يعبدون الشيوخ والمرابطين"[15]ويقول كذلك:"كانت كل مدينة كبيرة وصغيرة، محروسة بوَلي من الأولياء، فهو الذي يحميها من العين ومن الغارات ومن نكبات الطبيعة، ومن طمع الطماعين"[16]، مما يظهر مدى التأثير الرمزي لهذه الفئة في النسيج الاجتماعي.

فنظرا للمرتبة الشريفة التي كان يحتلها المرابطون في المجتمع القبائلي ماضيًا، منعت نساءهم وبناتهم من العمل في الحقول أو الظهور دون حجاب. كما حصرت علاقات المصاهرة بحجة الحفاظ على نسبهم.

وفي ظل التحولات المعاصرة فقد شهدت منطقة تيزي راشد تحولات اجتماعية وثقافية كبيرة نتيجة التحديث بمختلف أبعاده، وارتفاع مستوى الوعي الثقافي والتعليمي، إلى تخفيف أشكال التمايز الاجتماعي

بما في ذلك التمييز العنصري، وتوسيع دائرة المصاهرة بين الفئات الاجتماعية الأخرى، وتعميق أواصر التفاعل والتعاون بين أعضاء الجماعة.

3.1.3. أَكْلان: مُثلَت فئة أَكْلان(أي العبيد) الطبقة الدنيا في الهيكل الاجتماعي التقليدي لمنطقة تيزي راشد، حيث خضعت لآليات تهميش اجتماعي ارتبطت بالمهن المتواضعة كالجزار،الاسكافي... غير أن التحولات التاريخية مكنتهم من تطوير استراتجيات للتحرر من خلال الاستقرار الجغرافي في مناطق مختلفة وامتلاك العقارات والاندماج في المهن الحديثة، ومع التحولات المعاصرة تراجع التمييز القائم على اللون أو الأصل، مما يعكس مرونة البنية الطبقية التقليدية وقدرتها على استيعاب التحولات.

وفيما يخص التحولات في سياق الحداثة فمنطقة تيزي راشد تشهد تغيرات عميقة بفعل التحديث، أبرزها الانتقال من نموذج العائلة الممتدة، حسب المنظور الدوركايمي القائم على التضامن الآلي من خلال مجموعة من المعتقدات والقيم المشتركة مثل ملكية الأراضي الجماعية، إلى نموذج العائلة النووية المرتكزة على التضامن العضوي من خلال الاعتماد المتبادل والتخصص في الأدوار والمهن المختلفة، مما أدى إلى إعادة هيكلة العلاقات الاجتماعية وتراجع السلطة الأبوية التقليدية، لتحل محلها أشكال تفاوضية أكثر مرونة.

وفي الوقت ذاته أعادت هذه التحولات تشكيل البنية الطبقية للمنطقة، حيث لم تعد علاقات النسب العائلي أو اللون، المعيار الأساسي للتفاعل الاجتماعي، مما أدى إلى التخفيف من حدة التمايز الاجتماعي التقليدي، وقد ساهمت عوامل التحضر والتعليم والانفتاح الثقافي في تعزيز التكامل الاجتماعي بين مختلف الفئات الاجتماعية.

والجدير بالذكر أنه رغم هذه التغيرات لم يحصل قطيعة مع الماضي، بل مازالت العائلات تحافظ على نوع من التماسك عبر القرب الجغرافي بين المسكن الجديد والمسكن الأصلي(أي العائلي) مما يؤكد قدرة المؤسسات التقليدية على التكيف مع المتغيرات الحديثة خاصة قدرتها على الحفاظ على جوهرها الوظيفي في صون التماسك الاجتماعي.

2.3 القرية (Thaddart) : تشكل القرية وحدة بنيوية مهمة في المجتمع القبائلي، حيث تجسد التنظيم التقليدي بمختلف مكوناته، ووفقا لما أورده هانوتوولوتورنو تعتبر القرية:"حجر الزاوية الأساسي في المجتمع القبائلي، حيث نجد فيها جميع العناصر الضرورية لقيامها ووجودها. هنا المجتمع القبائلي يتطور وينمو، وهي حياته، ومن خلال القرية يمكن دراسة جميع عناصر المجتمع في تفصيلاته وجزئياته. الذي يعرف القرية، يعرف المجتمع القبائلي من كل جوانبه وخفاياه".[17]

تتميز قرى منطقة القبائل بديناميكية وظيفية متعددة الأبعاد، فهي غالبا تجمعات سكانية متمركزة على أعالي السلاسل الجبلية، ما شكل نمطا معماريا خاصاً بها، ويعود هذا التمركز إلى جملة من العوامل المتداخلة أبرزها: العامل الأمني الذي استلزم حماية السكان من الاعتداءات الخارجية، إلى جانب العامل الطبيعي المتمثل في ندرة الأراضي الزراعية، والتي خصصت معظمها للزراعة التقليدية كمصدر أساسي للرزق، مما حدَّ من التوسع العمراني، ويصف بيار بورديو هذه السمة الوظيفية بقوله أن القرية تشكل مكان لمراقبة والحماية، التي من خلالها يراقب الرجل القبائلي حقوله وبساتينه من دون عناء.[18]

وعلى الصعيد الاجتماعي، فالقرية في النظام التقليدي تكتسب حرمة توازي حرمة البيت، مما يفرض على أفرادها احترام قوانينها الاجتماعية و الأخلاقية، ويعد إفشاء أسرارها خيانة، يعاقب صاحبها بعقوبات صارمة من قبل مجلس تجماعث،[19]وهو ما يعكس آليات الضبط الاجتماعي التي تحافظ على تماسك النسق الاجتماعي التقليدي.

3.3 العرش(L'aarch) : يمثل العرش في التنظيم الاجتماعي القبائلي وحدة قرابية موسعة تتجاوز الإطار المحلي للقرية ليشكل فضاءًا اجتماعيًا أوسع يضم اتحاد عدة قرى متجاورة ترتبط برابطة النسب المشترك والاعتقاد الجمعي بالانحدار من أصل واحد، وفي هذا الصدد يرى مُحَّد عاطف غيث أن العرش يقوم على اعتقاد أعضاء العشيرة بأنهم منحدرون من جدّ مشترك عبر خط نسب معترف به ثقافيا سواءً كان أمويًا أو أبويًا.[20]

ويمكن فهم هذه البنية عبر مفهوم العصبية عند ابن خلدون الذي اعتبرها شكلا من أشكال الرباط القائم على أساس النسب، تؤمن الحماية للأقرباء في وقت الشدة ، حيث يقول: "فإذا كان النسب المتواصل بين المتناحرين قريبا جدّا بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها".[21] ومن هذا المنظور، تعد العصبية في نظره وازعا قويا للتماسك من أجل مواجهة النزاعات الخارجية.

كما يكتسي العرش بعدًا سياسيا من خلال "أمين العرش" الذي ينسق بين رؤساء القرى لمعالجة القضايا المشتركة أو الدفاع عن إحداها عند الحاجة، ويمثل هذا التنظيم تجسيدا لما أَطلق عليه دوركهايم بـ"التضامن

الميكانيكي، القائم على التشابه والتماثل بين الأفراد. وعليه فالعرش ليس مجرد نسق قرابي، بلهو منظومة اجتماعية متناسقة ومتكاملة تجمع بين القرابة للتضامن والدفاع عند الصراعات.

4.3 القبيلة(**Thaqbilt**): تمثل القبيلة الوحدة السياسية الدفاعية في التنظيم الاجتماعي القبائلي، ويعرفها **هانوتو ولوتورنو** بأنه:" اتحاد عدة قرى، لها حقوق وعليها واجبات متبادلة، جميع قرى القبيلة الواحدة متضامنة في الهجوم والدفاع عندما تبادر قبيلةما إلى إعلان الحرب على جيرانها أو تقوم بالاعتداء عليهم، فالقرى الأخرى ملزمة بنجدتها بشكل جماعي، فتقدم لها كل ما تملكه من القوة"[22]، ويتجلى هذا التضامن في الالتزام الجماعي بالدفاع المشترك ضد الأخطار الخارجية.

تتسم القبيلة بطابعها المؤقت، إذ يرأسها (أمين القبيلة) ومجلسها المتكون من رؤساء القرى والعروش المكلفون بتسيير الأمور في أوقات الحروب والأزمات فقط، ومن بين القبائل (القبيلة) التاريخية المعروفة في منطقة القبائل الكبرى: قبيلة أث أومالو، قبيلة بويوسف، قبيلة تاسفت أوغمون، قبيلة أيت محمود... وغيرها.[23]

وبخصوص منطقة تيزي راشد فكانت تنتمي تاريخيا إلى قبيلة أث ايراثن ضمن التنظيم القبلي لمنطقة القبائل الكبرى.

أما الكنفدرالية فهي وحدة سياسية تجمع عدة قبائل(القبيلة) في سياق الحروب ضد القوات الخارجية، يجتمع رؤسائها فقط عندما تظهر قضايا تستدعي التنسيق، فتقوم كل قبيلة بتفويض مندوبين أو ثلاثة للدفاع عن مصالحها في الكنفدرالية، ويمكن اختيار أمين لها بنفس المواصفات والظروف، حيث يماثل دوره دور أمين الأمناء في القبيلة.[24]

أما شروط التكتل فهي نفسها مع العرش والقبيلة، لأن روابط التضامن جد مهمة في تحقيق الاستقرار والأمن الجماعي.

5.3 الزاوية: تعد الزاوية في البنية الاجتماعية التقليدية لمنطقة القبائل مؤسسة دينية تعليمية ذات وظائف متعددة، ارتقت بدورها من مجرد فضاء لتعليم القرآن و العلوم الإسلامية لتصبح نسقا اجتماعيا شاملا.

وقد أطلق على الزاوية اسم (ثمَمَرتْ) بمعنى العَمَار أي عكس الدمار، فيما عُرف سكانها بتسمية (زواوة) لكثرة الزوايا فيها، وتشير الإحصائيات إلى أن ولاية تيزي وزو تضم حاليا 22 زاوية منها 18 زاوية يدرس فيها الطلبة، ومدرستين مختصتان لتحفيظ القرآن الكريم[25]،وفي منطقة تيزي راشد نجد زاوية الشيخ بن أعراب الموجودة بقرية "شرعيوة"، والتي ذكرها أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي بأنها واحدة

من أشهر زوايا "زواوة"،فيقول:"تعتبر زواوة وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا، فقد تصل فيها إلى خمسين زاوية...وقد كانت زاوية تيزي راشد(وتسمى أيضا زاوية بن أعراب) ذائعة الصيت يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة".[26]

خلال الحقبة الاستعمارية، تحولت الزوايا إلى حصون للمقاومة الثقافية والسياسية، إذ تخرج منها العديد من قادة المقومات الشّعبية أمثال: الأمير عبد القادر، الشيخ اَحَدَاد، لالة فاطمة نَسُومَر، الشيخ بوعمامة...وغيرهم، وتخرج منها علماء الإصلاح كالشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ أبو يعلى الزواوي، الشيخ أرزقي الشرفاوي الأزهري...الخ، كما اعتبرت ملاجئ للمجاهدين ومخابئ أمنة لهم، مما دفع الاستعمار الفرنسي إلى استهدافها بشكل منهجي عبر تحويلها إلى مراكز إدارية وعسكرية.

أما بعد الاستقلال، فقد تراجع دور الزوايا التعليمية أمام صعود المؤسسات الحكومية كالمدارس، فتحولت الزوايا إلى رموز للهوية الدينية والتراثية، حيث اقتصر دورها في تحفيظ القرآن الكريم وإحياء المناسبات الدينية.

6.3. تجماعث(Tajmaath): تشكل ثجماعث النواة الحاكمة في التنظيم الاجتماعي التقليدي، حيث تتولى إدارة الشؤون العامة وتنسيق العلاقات بين مختلف المؤسسات التقليدية، مستندة شرعيتها من العلاقة التبادلية بين المؤسسات التقليدية الأخرى. ويتكونهيكلها التنظيمي من الأمين (الرئيس)، الطامن (ممثل مجموعات العائلات) والوكيل (مساعد للأمين).[27]

تمثل تجماعث السلطة القضائية والتنظيمية في آن واحد، إذ تنظر في حل النزاعات العقارية والعائلية وتسيير الشؤون العامة كتوصيل مياه الشرب إلى المنازل، بناء المساجد وتجهيزها أو ترميمها، صيانة الطرقات، تنظيم أوقات استخدام المنابع، تنظيف المقابر، تنظيم بعض الاحتفالات الدينية. كما أنها تفرض غرامات مالية على المخالفات كالسرقة، الضرب والجرح، استهلاك الكحول...، وتعد هذه القوانين العرفية قابلة للتعديل، أي الجماعة تراعي الوقت وتناقش القوانين الموضوعة داخل القرية حسب وقتها.[28]

تتناول أيضا قضايا تشمل الشؤون الاجتماعية كحلّ الخلافات القائمة بين العائلات والنزاعات حول الميراث العائلي أو تساعد الفقراء والمحرومين.

في ظل التحديات الحديثة، لا تزال تجماعث تنشط في القرية مثلا في تنظيم مراسيم الجنازات، تقديم المساعدات للفقراء، وفرض بعض القوانين العرفية لضبط السلوكيات العامة مثل: منع الشجار الليلي، الضوضاء، شرب الخمر أمام المنازل...، كما حافظت على دورها التقليدي في مسألة فض النزاعات العائلية حول حدود الأراضي مثلا، مما يؤكد قدرتها على التوازن بين الاستمرارية والتكيف مع التحولات الراهنة.

4. أشكال التضامن الاجتماعي المنظم من قبل عائلات منطقة تيزي راشد: يواصل سكان منطقة تيزي راشد الحفاظ على الممارسات التضامنية التقليدية التي لا تزال حاضرةإلى اليوم، وتمارس بشكل تلقائي كلما استدعت الحاجة إلى ذلك، ومن أبرز هذه الممارسات هي:

1.4 التويزة (Tiwizi): تعد التويزة أي ثيويزي في منطقة تيزي راشد نموذجا رائعا للتنظيم الاجتماعي التضامني، الذي يحمل نوع من الشعور الجمعي الموجود في التضامن الاجتماعي الميكانيكي الذي تطرق إليه دوركايم في نظريته حول التضامن الاجتماعي، فيكون المجتمع كأنه كتلة واحدة الذي بواسطته يمكن تفسير العلاقة الاجتماعية التضامنية بين الأفراد و الجماعات'[29] وتعزز الشعور بالمسؤولية المتبادلة، حيث يتعاون الأفراد على مساعدة ومساندة كل مُحتاج أو عاجز عن انجاز أعمال محددة، بهدف تحقيق المساواة والتعاون والتكافل الاجتماعي.

تظهر هذه الممارسة كآلية اقتصادية اجتماعية تدعم النظام الإنتاجي التقليدي عبر توزيع الأدوار، حيث يرتكز عمل الذكور بشكل كبير في الأعمال الفلاحية، كالحرث، الحصاد وجمع المحاصيل وجني الثمار وغيرها، بينما تنخرط الإناث في الأعمال الفلاحية الموسمية كجني الزيتون، والأعمال الحرفية كنسج الزرابي والبرنوس...، وتظهر كذلك في الأعمال المنزلية الجماعية كفتل الطعام وتحضير الأكلات الشعبية في الحفلات والمناسبات.

ورغم طابعها التطوعي، إلا أن التويزة تخضع لآلية الضبط الاجتماعي التي تجعل المشاركة فيها شبه إلزامية، ما يعزز التماسك الاجتماعي، ويحفز تقديم المساعدة المادية والمعنوية لضمان الدعم المتبادل، بالتالي يقوي التآخي والتراحم أثناء التجمعات بين العائلات.

وفي العصر الراهن أدت التحولات البنيوية كالهجرة والتمدن، وارتفاع تكاليف الحياة، وظهور مؤسسات متخصصة، إلى إعادة إنتاج دور التويزة ، حيث تحولت إلى آلية رمزية تحافظ على التعاون في المناسبات والظروف الاستثنائية، مما يبرز مرونة البنى التقليدية في التكيف ومواجهة التحديث ومتطلباته.

2.4 ثمشراط (Timechrett): تُعرف ثمشراط في منطقة القبائل أيضا ب" لوزيعة"، وتمثل مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعي التي يمكن فهمها في ضوء نظرية دوركهايم حول التضامن الميكانيكي، إذ تعكس وحدة الشعور الجمعي وصلابة الروابط القائمة على التشابه والتماثل بين الأفراد، فهي ممارسة جماعية تمزج بين البعد الاقتصادي والديني في آن واحد. فمن حيث البعد الاقتصادي كانت ثمشراط تنظم في الماضي من طرف تجماعث من أجل تمويل الأعمال المشتركة، وتُمول من العائدات والغرامات المفروضة على الجرائم كالقتل والسرقة والاعتداء على الأخلاق أو انتهاك الآداب، وأيضا من إيجارات مطاحن الدقيق ومعاصر الزيوت، أو من تبرعات سكان القرية، وأيضا من فائض دخل القرية.[30]

أما من حيث البُعد الديني لثمشراط، فيتجلى في التبرعات الروحية كأن يطلب السكان معروفا من الله كنزول المطر، وقف الأوبئة، الحماية من مرض يصيب الأشجار، كما يصف هانوتو ولوتورنو "عندما يراد استعطاف غضب الله، مثل طلب نزول الغيث النور أو الحد من انتشار عدوى أو تفشي الموت، أو مرض حلّ بالأشجار.جميع هذه الأماني والتمنيات يمهد لها بالصلاة المتوجة بثميشرت حيث يتبرع كل شخص حسب إمكانياته إما مالا أو قمحا أو زيتا أو حتى ثمار البلوط".[31]

تُعد ثمشراط رمزًا من رموز الذاكرة الجماعية المعروفة في منطقة القبائل، وشكلا من أشكال التضامن الآلي، والتي لا تزال تمارس حتى اليوم، وتنظم بأموال سكان القرية التي تجمع بما يسمونها بثشَشيثْ (العمامة)، وثجماعث هي من تتولى إدارة العملية "الأمين والضمان هم المسئولون عن كل ما يخص ثاميشرت التي تقام في القرية، بعد أخذ الاحتياطات والإجراءات التمهيدية...".[32]

أما اليوم، خضعت ثمشراط لعملية إعادة تشكيل وظيفي، حيث تحولت من نظام تمويل جماعي إلى ممارسة موسمية تكاد تنظم فقط في المناسبات الدينية والثقافية (كعيد الفطر، عاشوراء، قسَّام، رأس السنة الأمازيغية). ، لكن سكان المنطقة حافظوا على هذه العادة رغم التحولات من أجل إعادة إنتاج التماسك الاجتماعي مما يؤكد مرونة النظم الاقتصادية في الحفاظ على قيم التضامن الاجتماعي.

3 .4 ثشمليث (Tachelhit): تعنى كلمة (ثشمليث) لم الشَمل لانجاز أعمال ذات منفعة عامة، هي أيضا تعتبر شكل من أشكال التضامن العضوي القائم على الإلزام الجماعي، وهي من العادات التقليدية الموروثة من الأجداد التي لا تزال تمارس إلى غاية اليوم من طرف سكان منطقة تيزي راشد، تتميز

بطابعها الإلزامي للذكور دون الإناث، مع فرض غرامات مالية تسمى ب(لخّطيّة) على المخالفين لها، مما يعكس قوة الضبط الاجتماعي من أجل الحفاظ على الاستمرارية لهذا النوع من التضامن.

وتتجلى الأعمال التي تقام في إطار ثشمليث في تنظيف المقابر، صيانة الطرقات، تنظيف المنابع، بناء أو ترميم المساجد وغيرها، بهدف تعزيز التعاون الجماعي، والحفاظ على التماسك الاجتماعي في ظل التحديث، وخصوصا تعويض النقص في الخدمات الحكومية مما يؤكد قدرة المؤسسات التقليدية على التكيف مع متطلبات الوقت الراهن.

4.4 العشور (laachour)

هي عادة اجتماعية ذات جذور دينية، تعكس القيم الإنسانية والثقافية الراسخة في منطقة تيزي راشد، تعتمد على تخصيص كَيل الحصة العاشرة من المحاصيل الزراعية كالتين، زيت الزيتون، والحبوب،لتوزع على المحتاجين والفقراء، وهو ما يجسد نموذجا للعدالة الاجتماعية التلقائية وتساهم في تقوية الروابط الاجتماعية، وتعزز الشعور بالمسؤولية المشتركة، بالخصوص استقرار المجتمع اجتماعيا واقتصاديا.

وعليه نقول أن جميع أشكال التضامن الاجتماعي الممارس من طرف سكان منطقة تيزي راشد يمثل تجسيدا حيًا لاستمرارية البنى الاجتماعية التقليدية في العصر الحديث، بداية من التويزة باعتبارها آلية للدعم الاقتصادي والاجتماعي المتبادل، ثشمليث كنظام للعمل الجماعي، وتمشراط كآلية لتمويل المشترك، ولعشور كنموذج للتعاون الزراعي، كل هذه الممارسات تعكس قيم العدالة الاجتماعية والتنظيم الذاتي في المنطقة، وتبرز قدرة المجتمعات المحلية على ابتكار وتطوير آليات تسمح بتحقيق التوازن بين متطلبات الحداثة دون التخلي على الأصالة.

5. خاتمة:

أظهرت نتائج هذه الدراسة أنّ المؤسسات التقليدية في منطقة تيزي راشد، وعلى الرغم من الضغوط التي فرضتها التحولات الثقافية والاجتماعية المعاصرة. لم تنقرض ولم تنغلق على تراثها، بل أعادت إنتاج وظائفها وأعادت تشكيل أدوارها بما ينسجم مع متطلبات العصر الراهن، وقد أستدل على ذلك من خلال آليات التضامن المختلفة التي ما تزال تمارس إلى غاية اليوم من طرف سكانها مثل التويزة وتمشراط...، حيث تستمر هذه الممارسات في أداء وظائف تضامنية ورمزية تعكس قدرة المؤسسات التقليدية على التكيف.

ورغم تراجع وظائفها التنظيمية التقليدية أمام مؤسسات الدولة الحديثة (مثل البلديات والإدارات)، فان هذه المؤسسات التقليدية لا تزال تؤدي دورا محوريا في مجال التضامن والوساطة الاجتماعية لحل النزاعات والخلافات، وهو ما يبرز من خلال مبادرات تعبيد الطرق وبناء المرافق العامة وغيرها. مما يعكس قدرة هذه المؤسسات على التكيف مع المستجدات دون فقدان أساسها الرمزي.

ويظهر ذلك أيضا وبوضوح في التحولات التي طرأت على بنية العائلة التي تحولت من النمط الممتد إلى النووي، غير أن هذا التحول لم يحذف دور التضامن التقليدي، بل على العكس، لقد أعاد صياغته في شكل تضامني جديد يظهر في المناسبات والأزمات والظروف الصعبة، كما حدث خلال جائحة كوفيد 19وحرائق 2021 تلبية للحاجة التي لم تستطيع مؤسسات الدولة انجازها لوحدها .

غير أن هذا التكيف لم يكن دون ثمن، فقد جاء على حساب تراجع الوظائف التنظيمية المباشرة لصالح القوانين الحديثة، الأمر الذي أدى إلى إعادة تحديد دور "تجماعث" أو ما يعرف اليوم بـ"لجنة القرية "، التي تحولت من سلطة تنفيذية إلى مجرد هيئة رمزية تهتم بالوساطة وحل النزاعات بين الأفراد، كما اقتصر نشاطها على القضايا المحلية مثل الصلح العائلي وضبط حدود الأراضي.

وعليه فإن القيمة الجوهرية لهذه المؤسسات تكمن في قدرتها على التوفيق بين الاستمرارية الثقافية والتكيف مع التحديث، عبر إعادة توزيع الوظائف وتحويل الأدوار مع الحفاظ على المبادئ الأساسية للتضامن، بحيث هذه المؤسسات لم تعد بديلاً عن الدولة بل غدت شريكًا فعالاً لها في التنمية المحلية وإدارة الخلافات والنزاعات.

توصيات:

يمكن اقتراح جملة من التوصيات التي تساهم في تثمين دور المؤسسات التقليدية والحفاظ على استمرارية وظيفتها، ومن أهمها:

– ضرورة جمع وتوثيق الأعمال والممارسات التضامنية في الأرشيفات باعتبارها جزءا لا يتجزأ من التراث الثقافي المحلي الذي يشكل إحدى ركائز الهوية للمجتمع القبائلي.

– تعزيز الشراكة بين المؤسسات التقليدية(لجان القرى) والمؤسسات الحكومية الحديثة في مجال الوساطة لحل النزاعات والخلافات بين أفراد المجتمع.

– تشجيع الشباب على الانخراط في المبادرات الثقافية ومشاريع التنمية المحلية لتعزيز المشاركة الجماعية ولضمان استمرارية لمثل هذه الممارسات.

– ترسيخ ثقافة المبادرات التضامنية لدى فئة الشباب من أجل التعامل مع الأزمات باعتبارها آليات فعالة لتعزيز التماسك الاجتماعي.

– ضرورة إدماج المؤسسات التقليدية والأشكال المختلفة للتضامن في برامج التربية قصد ترسيخ قيم التعاون والتكافل بين الأجيال.

6. الهوامش

1 أنتوني غيدنز، فيليب صاتن،**مفاهيم أساسية في علم الاجتماع**، ترجمة مُحَّد الذوادي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، قطر، 2018، ص ص 224-225.

2 نبيل عبد الهادي، **مقدمة في علم الاجتماع التربوي**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن،2009، ص 117

3 أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية(انجليزي فرنسي عربي)**، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت ،1982 ص391 .

4 أحمد زكي بدوي: **نفس المرجع**، ص 404

5 عبد المجيد لبصير، **موسوعة علم الاجتماعومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر،2010، ص148.

6 طارق الصادق عبد السلام، خالد بن عبد العزيز الشريدة، **مقدمة في علم الاجتماع**، دار جنان للنشر والتوزيع، مصر، 2020، ص46

7 نفسه.

8 نورية سوالمية، الطاهر غراز، **التضامن الاجتماعي داخل الأحياء الحضرية**، مجلة سوسيولوجيا للدراسات والبحوث الاجتماعية، المجلد 3 العدد1، الجزائر، 2019، ص206

9 غيث مُحَّدعاطف، **دراسات فيعلم الاجتماع القروي**،دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1967، ص105

10الحسن إحسان مُحَّد الحسن، **علم الاجتماع العائلة**، دار وائل للنشر، ط1، عمان، 2005، ص 43.

11 PierreBORDIEU, **Sociologie De L'Algérie**, que suis-JE? Presse Universitaire De France, 1958, p12.

12Pierre BORDIEU, **La domination masculine**, édition du Seuil,France, 1998, pp71-72

13لحسين بن شيخ آث ملويا، **التعريف بالأمازيغ وأصولهم**، دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2007، ص121.

14مُحَّد أرزقي فراد، **إطلالة على منطقة القبائل**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، تيزي وزو(الجزائر) 2018، ص ص 302-303.

15سعد اللهأبو القاسم،**تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998، ص 467.

16 المرجع نفسه، ص 263.

17 هانوتو ولوتورنو، **منطقة القبائل الكبرى: العادات القبائلية التنظيم السياسي والإداري**، ترجمة الحاج أحمد قاسم مزيان، منشورات كرجا للإنتاج والتوزيع، الأربعاء ناث ايراثن، تيزي وزو، الجزائر، دت، ص20.

18 PierreBORDIEU :**Sociologie De L'Algérie**, que suisJE? Presse Universitaire De France,Paris, 1958, p9

19بوجمعة رضوان، **أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل**، محاولة تحليل أنتربولوجي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، كلية علوم الإعلام والاتصال، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2006- 2007، ص 146

20غيث مُحَّد عاطف، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2006، ص ص 55- 56.

21عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدمة موسوعة العلامة ابن خلدون**، الفصل الثامن، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1999، ص 225

22 هانوتو ولوتورنو، **المرجع السابق**، ص 101

23Alaine MAHE, **Histoire de la grande Kabylie XIX^{e}–XX^{e} siècles**, édition Bouchene,France,2000,P76

24 هانوتو ولوتورنو: **المرجع السابق**، ص 106

25Annuaire Statistique de la wilaya de Tizi Ouzou, **Année 2015**, DPAT, Algérie, Edition 2016,p 214

26 سعد الله أبو القاسم، **المرجع السابق**، ص 265

27 Alaine MAHE : **Opcit**,P80

28 مُحَّد الهاديحارش، **تجماعث في منطقة القبائل:مجلس العرش أم مجلس القرية؟**، أفكار وأفاق، مجلة علمية أكاديمية محكمة، نصف سنوية (مارس، سبتمبر) ، العدد، جامعة الجزائر، مارس 2011، ص 108.

29 معن خليل عمر،**نقد الفكر الاجتماعي المعاصر**، دراسة تحليلية ونقدية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لم تذكر السنة، ص 115.

30 هانوتو ولوتورنو، **المرجع السابق**،ص85

31 نفسه.

32 نفسه.